جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم علوم وتقنيات الأنشطة البدنية والرياضية

محاضرة رقم 06:

جذور المقاربة بالكفاءات

ان الانتقال من المقاربة بالمحتوى القائمة على الكم المعرفي، إلـى المقاربـة بالأهداف القائمة على أجرأة الأهداف التعليمية، ثم إلى المقاربة بالكفاءات القائمة على إدماج المكتسبات، يبين الحركية الكبيرة التي أصبحت تميـز الأبحـاث فـي الحقل التربوي. فلم تعد المسألة مطروحة على التناقضات الموجودة بين التربيـة التقليديـة والتربية الجديدة في محورية العملية التربوية، و أيهما أكثر خدمة للمتعلم، وإنما أصبحت مرتبطة بالمتعلم نفسه، بحيث لا تخرج عن محيطه المعرفـي والذهني والنفسي والاجتماعي، ولابد للمناهج الدراسية أن تستجيب لهذا المتعلم، وجعل مكتسباته على محك التوظيف والانتقاء و الإدماج، حتى يتخرج بحيـث يمكنـه التكيف مع الواقع مهما حدثت به من تغيرات ومستجدات.

إذا كانت المقاربة بالأهداف ذات خلفية سـلوكية واضـحة، فـلقد استندت المقاربة بالكفاءات في خلفيتها النظرية على الاتجاه السلوكي والبنائي والمعرفي. وإذا كان تأثرها بالاتجاه السلوكي واضحا من خلال المحافظة على الأسـاليب التقويميـة القائمة على أجرأة الأهداف والتقدير الكمي الواضح للأداء، فإن الجديـد فـي هـذه المقاربة هو استنادها للاتجاه البنائي والمعرفي القائم على الانطلاق من ذاتية المـتعلم وما يتوفر عليه من قدرات معرفية ذاتية، وكذلك على تأثير العوامل الاجتماعية فـي التعلم، و يشير (Gherib, 2010) في هذا المجال إلى أربع نماذج بارزة هي:

1-النموذج البنائي

يعود هذا النموذج في أصوله إلى أبحاث بياجيه (Piaget.J) حيث ركز على تفاعل الطفل مع بيئته واعتبر البيئة شرطا أساسيا لكي يتمكن الطفل من الاستمرار في نموه، وذلك من

خلال إدماج المثيرات الجديدة مع ما هو موجود عنده من مخططـات معرفية سابقة، لتتحول هي الأخرى إلى مكونات جديدة فـي المخططـات المعرفيـة وهكذا. ولكن البنائية لا تعني إمكانية تدخل العوامل البيئية في تسريع النمو العقلي إلا في إطار محدود، بحيث يرى بياجيه بأن النمو العقلي هو الذي يتحكم في التعليم وليس العكس، و من هنا فإن التعليم لا ينبغي أن يكون قائما على تبليغ المعلومات، وإنما على تسهيل بناء المعلومات لكل طفل بمفرده و هذا بواسطة الأدوات التعليمية و الاحتكاك مع المحيط. و بهذا يصبح التعليم قائمـا على الاختيار بين الأدوات و وضع المتعلم في بيئة تعليمية تناسـب مستوى نمـوهم العقلي. جعلت النظرة البنائية من المتعلم و ما يحمله من مستوى النمـو العقلـي العنصر الرئيسي في العملية التعلمية التعليمية، و هذا ما يتقاطع مع المقاربة بالكفاءات في اثنين من أهم مميزاتها ألا و هما بناء المعرفة و تفريد التعليم.

2-البنائية الجديدة

من أقطاب هذا الاتجاه نجد كلا من دواز و مونيي (mugny et Doise) و هما تلميذان لبياجيه. و في هذا النموذج نجد محاولة تجاوز النظرة القائمة على المتعلم عنـد بياجيه إلى الصراع المعرفي الاجتماعي كأساس لنمو التعلم. و الفكرة الأساسية لهـذا الطرح تقوم على أن الصراع المعرفي يكون أكبر إذا صاحبه صراع اجتماعي، و يأخذ الصراع هنا معنى التحديات التي يواجهها المعلم، و هي تحديات خارجية تثير قدراتـه التعلمية، فيكون بالتالي أكثر قدرة على اكتساب معارف جديدة و على تـدعيم قدرتـه على التعلم. فهذه التحديات تمنح فرصا أكثر لمسار مواءمة البنى المعرفية الموجـودة سلفا و هو ما يحقق التوافق الذي يفرضه الاحتكاك مع البيئة خاصة منهـا مـا تعلـق بالجانب التعليمي. و قد توصل الباحثون في هذا النموذج، و بعد إجراء الكثير من التجارب إلى نتائج جد هامة نجد من أبرزها:

- يؤدي التفاعل الاجتماعي بالمتعلم في الظروف المناسبة إلى حل مشـكلات لا يمكنه حلها إذا كان وحده؛
- إذا تم وضع المتعلم مجددا أمام هذه المشكلات، فإنه سيتمكن من حلها بمفرده؛
- المخططات المعرفية الجديدة الناتجة عن حل هذه المشكلات، تكـون ثابتـة و قابلة للتحريك نحو التعامل مع مشكلات جديدة؛

- كنتيجة لهذه التفاعلات، فإن الصراع الاجتماعي المعرفي يصبح المحرك لعملية التعلم يظهر من خلال هذا النموذج أهمية الاحتكاك بالبيئة بما يجعل الطفل في موقع الصراع و التحدي المعرفي، و هو ما يجعله يقوم بعملية تجنيد أكبر لكل مكتسباته و استراتيجياته التعلمية، و هو العنصر الذي تؤكد عليه المقاربة بالكفاءات خاصة في أدواتها التقويمية التي ترتكز على الوضعية المشكلة و الإدماج و تجنيد الموارد.

3-النموذج البنائي الاجتماعي التفاعلي

يقوم هذا النموذج على التفاعل الموجود بين الفرد و ما يوجد لديه من قدرات و معارف قبلية و بيئته المدرسية و الاجتماعية و ما تفرضه من تكيفات مستمرة معها. إن بناء المعرفة في المنظور البنائي يتضمن أربعة محاور أساسية وهي: النشاط الذهني، نشاط الفرد، رابط بين العمليات المنجزة و نتائجها و أخيرا جدل فكري بين معارفه السابقة والعمليات المنجزة في وضعية ما. و ضمن هذا السياق فإن نشاط الفرد لا يرتكز على الأشياء المحسوسة و إنما على معارفه المتفاعلة مع الواقع الطبيعي و الاجتماعي، حيث يواجه موضوع التعلم في وضعية تحدي. إن النشاط المعرفي للفرد في هذه الحالة يهدف على تحليل النتائج المتعلقة بوضعية ما، و من خلال تحليل العلاقة بين نشاط الفرد و نتائج هذا النشاط والعناصر المؤثرة يستطيع الفرد الوصول إلى بناء علاقات سببية بين هذه المكونات للموقف. إن البنائية الاجتماعية لا تشكل اتجاها بيداغوجيا و إنما نموذجا ابستملوجيا للمعرفة، فهي تمثل إطارا مرجعيا عاما، يحدد المفاهيم و التصنيفات الموجهة للتفكير. من خلال هذا الإطار المرجعي تستخرج الأساليب و المقاربات البيداغوجية التي تترجمه إلى ممارسات تعلمية تعليمية. و تظهر في هذا النموذج على قاعدة جعلت المعارف السابق في تفاعل مع عناصر جديدة في وضعية محددة، و هو ما يمكن المتعلم من تعديل معارفه السابقة و بناء معارف جديدة. و هنا يلتقي هذا النموذج مع المقاربة بالكفاءات التي نجد من بين أهم متطلباتها جعل المتعلم يواجه وضعية ما يكتشف من خلالها قصور معارفه السابقة عن التعامل معها، و هو ما يجعله يجند تلك المعارف ليضيف إليها مكتسبات أخرى توصل إليها من خلال مواجهته للوضعية الجديدة. إن الوضعيات تشكل لب المقاربة بالكفاءات و هي عنصر التقاء رئيسي مع النموذج

السوسيوبنائي الذي يرى بأن الكفاءات لا يمكن بناؤها إلا من خلال الوضعيات التي تعني مواجهة مشكلة جديدة بتجنيد المعارف القبلية، و في هذا السياق فإن مفهوم الكفاءة يتلاءم تماما مع هذا النموذج، فهي تدل على التجنيد و التفاعل مع المحيط و بناء معارف جديدة في حلقة تعلمية مستمرة.

4-النموذج المعرفي

يعود هذا النموذج في أصوله إلى جهود كل من بياجيه و فيغوتسكي، بفعل الاهتمام المشترك لعدة علوم ذات صلة بالنشاط المعرفي للإنسان مثل الفلسفة و اللسانيات و الذكاء الاصطناعي و علم النفس المعرفي. و ينطلق هذا النموذج من العمليات الذهنية التي يقوم بها الدماغ و تأتي في مقدمة تلك العمليات الذاكرة بنوعيها قصير المدى أو ما يعرف بالذاكرة العملية و طويلة المدى التي تقوم بوظيفة التخزين. فالعملية المعرفية تعني عملية الذاكرة بالدرجة الأولى فهي تخزن المعلومات بعد ترميزها و تسترجعها عند الحاجة إليها. و تواصلت الأبحاث بعد ذلك بشكل سريع لتقتحم ميدان التعلم، باعتباره الميدان الرئيسي التي تبرز فيه العمليات المعرفية من معالجة المعلومة و التذكر و التفكير و الإدراك. و تتضمن معالجة المعلومات باعتبارها العنصر الذي تتداخل فيه بقية العمليات الذهنية الكثير من الأنشطة الذهنية المعرفية مثل التفسير و الاستدلال و أخذ القرار و حل المشكلات، أو الماوراء معرفية مثل الوعي بخطوات التفكير و المراقبة و التنظيم. في مجال التعلم، فإن هذا النموذج يميز بين نوعين من المعارف، المعارف الصريحة المتعلقة بحدث ما مثل خصائص ظاهرة معينة و قوانينها... و المعارف الإجرائية، و هي ترتبط بإجراء ما أو استعمال قواعد معينة من أجل حل مشكلة ما. هنا نجد نقطة الالتقاء بين هذا النموذج و المقاربة بالكفاءات التي تقوم على تجنيد الموارد في التعامل مع وضعية مشكلة تعتبر جديدة بالنسبة للمتعلم، و تستلزم عملية التجنيد الانتقاء الصحيح و السريع و الملائم، و بهذا تتجاوز التناول السلوكي القائم على الاستجابة المباشرة لمثير ما. من خلال كل ما سبق يتبين أن المقاربة بالكفاءات تعتبر نتيجة بيداغوجية لجملة من النظريات و النماذج و الاتجاهات، تلتقي كلها في إعطاء الأهمية الكبرى للمتعلم، و الانطلاق بما يوجد عنده من قدرات و مكتسبات و مهارات في بناء المعرفة، ليتم بذلك تجاوز التعليم النمطي القائم على حصر النتائج في زاوية قدرة المتعلم

علـى استرجاع المكتسبات، و هو ما يجعله عاجزا على إدماج معلوماته للتعامل مع وضعيات معقدة.